

العدد "الإثنا عشر"

قدسيته ومكانته عند (الإثنا عشرية)

الباحثة/ فطيمة محمد عبد السيد انويجي (*)

إشراف:

أ.د. فيصل بدير عون

لقد حظيت بعض الأرقام باهتمام خاص نظراً لارتباطها ببعض الأحداث أو الشخصيات أو ورودها في سياق رؤية دينية. ولهذا قام بعض الباحثين بدراسات حول أرقام لها خصوصية في معتقد ديني معين كالرقم ٧ والرقم ١٩ والرقم ١٢. ويعد الرقم ١٢ من المواصفات القياسية المعتمدة عالمياً اليوم في كثير من الأدوات ويطلقون عليه اختصاراً مصطلح "دزينه". ويعتبر الرقم ١٢ من أكثر الأرقام تداولاً عبر مختلف الحقب التاريخية، وهو الرقم الوحيد الذي يحظى بقدسية خاصة عند مختلف الأديان والمعتقدات والأقوام، ويأتي من الأساطير ليرمي بظلاله على الواقع حيث اعتقد فريق من الناس، كما سنرى، أن في هذا الرقم سحراً خاصاً.

وسنحاول أن نسلط الضوء في الصفحات القادمة على قدسية هذا الرقم في الحضارات القديمة، والأديان، وعند الفلاسفة والعلماء. لعلنا نكتشف السر أو نلتمس الطريق الذي يؤدي بنا إلى معرفة أسباب اختيار الشيعة الإثني عشرية لهذا الرقم. والربط الوثيق بينه وبين عدد الأئمة عندهم.

(*) طالبة دكتوراه - قسم الفلسفة - كلية الآداب - جامعة عين شمس .

أولاً: الرقم اثنا عشر في القرآن الكريم :

لقد ورد ذكر العدد اثني عشر في أربع سور في القرآن، ففي سورة

البقرة نقرأ:-

﴿وَإِذِ اسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ كُلُّوا وَاشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ (١).

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية؛ إن الله يقول أذكروا نعمتي عليكم في إجابتي لنبيكم موسى (عليه السلام) حين استسقاني لكم، وتيسيري لكم الماء وإخراجه لكم من حَجَرٍ يُحْمَلُ معكم وتفجيرى الماء لكم منه من اثنتي عشرة عينا لكل سبط من أسباطكم عين قد عرفوها، فكلوا من المن والسلوى، واشربوا من هذا الماء الذي أنبعثه لكم بلا سعي منكم ولا كد. وقد بسط المفسرون في كلامهم كما قال ابن عباس: وجعل بين ظهرانيهم حجرا مربعا وأمر موسى (عليه السلام) فضربه بعصاه فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا في كل ناحية منه ثلاثة عيون، وأعلم كل سبط عينهم، يشربون منها لا يرتحلون من منقله إلا وجدوا ذلك معهم بالمكان الذي كان منهم بالمنزل الأول (٢).

والموضع الثاني الذي ذكر فيه الرقم اثني عشر هو ما جاء في سورة المائدة: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا﴾ (٣).

أي عرفاء على قبائلهم بالمبايعة والسمع، والطاعة لله. وقد ذكر ابن عباس محمد بن اسحق، وغير واحد، أن هذا كان لما توجه موسى لقتال الجبابرة فأمر بأن يقيم النقباء من كل سبط نقيبا قال محمد بن اسحاق: فكان من سبط روبيل "شامون بن زكور" ومن سبط شامون "شافاط بن حري" ومن سبط

(١) سورة البقرة: الآية رقم (٦٠).

(٢) أنظر: ابن كثير، تفسير القرآن، تحقيق سامي بن محمد السلامة، الناشر دار طيبة، ١٩٩٩، ص ٢٧٨، الجزء الأول.

(٣) سورة المائدة: الآية رقم (١٢).

يهودا. كالب بن يوفنا"، ومن سبط أبين "فيخائيل بن يوسف"، ومن سبط يوسف، وهو سبط أفرام "يوشع بن نون" ومن سبط بنيامين "فلطمي بن رفون"، ومن سبط زبلون "جدي بن سودي" ومن يوسف وهو منشأ بن يوسف "جدي بن سوس" ومن سبط دان "حملائيل بن جمل" ومن سبط أسير "ساطور بن ملكيل" ومن سبط نفتالي "نحي بن وفس" ومن سبط جاد "جولائيل بن ميكي" وهكذا لما بايع الرسول (ﷺ) الأنصار ليلة العقبة كان فيهم اثنا عشر نقيباً، ثلاثة من الأوس وهم : أسيد بن الحضير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبد المنذر - وهناك من يقول بدله : أبو الهيثم بن التيهان - وتسعة من الخزرج، وهم : أبو أمامة أسعد بن زُرارة، وسعد بن الربيع وعبد الله ابن رواحة، ورافع بن مالك بن العجلان، والبراء بن معرور، وعبادة بن الصامت، وسعد بن عباد، وعبد الله بن عمرو بن حرام، والمنذر بن عمرو بن خنيس، والمقصود أي هؤلاء كانوا عرفاء على قولهم ليلتذ من أمر النبي (ﷺ) لهم بذلك، وهم الذين ولوا المبايعة والمعاقدة عن قومهم للنبي (ﷺ) على السمع والطاعة.

وقد ذكر الإمام أحمد أن رجلاً سأل عبد الله بن مسعود: هل سألتكم رسول الله (ﷺ) كم يملك هذه الأمة خليفة توثيق الحديث؟ فقال عبد الله: ما سألتني عنها أحد قبلك، ثم قال: نعم، ولقد سألنا رسول الله (ﷺ) فقال: "اثنا عشر" كعدة نقباء بني إسرائيل^(١) [وهذا ما سنتحدث عنه تفصيلاً عندما نتحدث عن الإثني عشر في السنة النبوية]^(٢).

الموضع الثالث الذي ذكر فيه هذا العدد جاء في سورة الإعراف: ﴿وَقَطَّعْنَاهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ

(١) موسوعة الحديث، ج ٦، حديث رقم ٧٢، وانظر: مسند أحمد، ج ١، ص ٣٩٨، السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٠.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن، الجزء الثالث، ص ٦٥-٦٦.

مَشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ^(١).

أما الموضع الأخير الذي ذكر فيه الإثني عشر فقد ورد في سورة التوبة: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾^(٢).

وقد قال الرسول (ﷺ) في هذا: "أيها الناس، إن الزمان قد استدار، فهو اليوم كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض وأن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، أولهن رجب مضر بين جمادى وشعبان وذو القعدة وذو الحجة والمحرم"^(٣).

هذا بالنسبة للآيات التي ورد فيها ذكر العدد اثني عشر. أما عن المصطلحات التي تكرر ذكرها اثني عشر مرة فهي:-

- (الإمام - إماماً - إمامهم - أئمة)^(٤).
- وقد وردت مادة "وصية" ومشتقاتها في القرآن "اثني عشرة مرة" وهذه إشارة عند الشيعة لعدد الأوصياء الإثني عشر المعصومين من آل البيت^(٥).
- وأيضاً ورد في القرآن لفظ "خليفة ومشتقاته في حالة المدح" اثني عشرة مرة^(٦).
- لفظ اصطفى ومشتقاته^(٧).

(١) سورة الأعراف: الآية رقم (١٦٠)، وقد تقدم تفسير هذا في الموضعين السابقين الذي ذكر فيها العدد اثني عشر.

(٢) سورة التوبة: الآية رقم (٣٦).
(٣) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٣٤.

(٤) أنظر: سورة البقرة: الآية رقم (١٢٤) / التوبة: الآية رقم (١٢) / الحجر: الآية رقم (٧٩) / هود: الآية رقم (١٧) / الفرقان: الآية رقم (٧٤)، الأحقاف: الآية رقم (١٢) / الإسراء: الآية رقم (٧١) / القصص: الآية (٤١-٥) / الأنبياء: الآية رقم (٧٣) / السجدة: الآية رقم (٢٤) / يس: الآية رقم (١٢). أنظر: كتاب الكشف في الإعجاز القرآني وعلم الحروف، للشيخ: الفاضل رضوان سعيد فقيه، دار المحجة، دار الرسول الأكرم، البيضاء، ص ٢٣٥، ط ١، ٢٠٠٢.

(٥) سورة الشورى: الآية رقم (١٣) / الأنعام: الآية رقم (١٤٤) / الأنعام: الآية رقم (١٥١-١٥٢-١٥٣) / النساء: الآية رقم (١٣١) / العنكبوت: الآية رقم (٨) / لقمان: الآية رقم (١٤) / الشورى: الآية رقم (١٣) / الأحقاف: الآية رقم (١٥) / مريم: الآية رقم (٢١) / النساء: الآية رقم (١٢).

(٦) سورة البقرة: الآية رقم (٢٠) / سورة ص: ٢٦، الأنعام: الآية رقم (١٦٥) / سورة يونس: الآية رقم (٧٣) / فاطر: الآية رقم (٢٩) / الأعراف: الآية رقم (٦٩) / الأعراف: الآية رقم (٧٤) = النمل: الآية رقم (٦٢) / النور: الآية رقم (٥٥) / الأعراف: الآية رقم (١٢٩) وقد ذكر لفظ - ليستخلقنهم - واستخلف في سورة النور: الآية رقم (٥٥).

(٧) سورة البقرة: الآية رقم (١٣٢) / آل عمران: الآية رقم (٣٣) / النمل: الآية رقم (٥٩) / الزمر: الآية رقم (٤) / آل عمران: الآية رقم (٤٢) تكرر مرتين / البقرة: الآية رقم (٢٤٧) / الأعراف: الآية رقم (١٤٤) / فاطر: الآية رقم (٣٢) / سورة ص ٤٧ / الحج: الآية رقم (٧٥) / البقرة: الآية (١٣٠).

- وأيضًا فعل يعصم ومشتقاته^(١).
- وقد ورد الفعل اجتبي ومشتقاته في القرآن اثني عشرة مرة^(٢).
- لفظ النجوم ← حيث يروى عن الرسول (ﷺ) أنه قال : النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي^(٣). وقد قال الشيعة إن عدد النجوم مطابق لعدد الأئمة^(٤).
- لفظ الشهادة ومشتقاته^(٥).
- ورد لفظ ملك للمخلوقين يعني مالك في القرآن "اثني عشرة مرة"^(٦).
- وردت لفظة "البر" بكسر الباء ومشتقاتها "اثنتي عشرة مرة"^(٧).
- لقد وردت عبارة "هم المفلحون" في القرآن ١٢^(٨).

(١) سورة المائدة : الآية رقم (٦٧) / الأحزاب : الآية رقم (١٧) / هود : الآية رقم (٤٣) ذكر مرة يعصمني - ومعه لا عاصم - النساء : الآية رقم (١٤٦-١٧٥) / آل عمران : الآية رقم ١٠١، سورة الحج : الآية رقم (٨٧) / سورة يوسف : الآية (٢٧-٣٢) / سورة غافر : الآية رقم (٣٣).

(٢) سورة الأنعام : الآية رقم (٨٧) / آل عمران : الآية رقم (١٧٩) / الأعراف : الآية رقم (٢٠٣) / مريم : الآية رقم (٥٨) / الشوري : الآية رقم (١٣) / طه : الآية رقم (١٢٢) / يوسف : الآية رقم (٦) / سبأ : الآية رقم (١٣) / القصص : الآية رقم (٥٧) / القلم : الآية رقم (٥٠) / الحج : الآية رقم (٧٨) / النحل : الآية رقم (١٢١).

(٣) أحمد بن حجر الهيتمي المكي، الصواعق المحرقة في الرد على أهل البدع والزندقة، طبع مكتبة الحقيقة، تركيا، ٢٠٠٣، ص ٢٦١.

(٤) سورة النحل : الآية رقم (١٦) / النجم : الآية رقم (١) / الطارق : الآية رقم (٣) / الأنعام : الآية رقم (٩٧) / الأعراف : الآية رقم (٥٤) / النحل : الآية رقم (١٢) / الحج : الآية رقم (١٨) / الصافات : الآية رقم (٨٨) / الطور : الآية رقم (٤٩) / الواقعة : الآية رقم (٧٥) / المرسلات : الآية رقم (٨) / التكويد : الآية رقم (٢).

(٥) سورة النساء : الآية رقم (٤١-٦٩) / البقرة : الآية رقم (١٤٣) / آل عمران : الآية رقم (١٤٠) / هود : الآية رقم (١٨) / غافر : الآية رقم (٥١) / النحل : الآية رقم (٨٤) / المائدة : الآية رقم (٤٤) / الحج : الآية رقم (٧٨) / هود : الآية رقم (١٧) / الزمر : الآية رقم (٦٩) / الحديد : الآية رقم (١٩).

(٦) يوسف : الآية رقم (٤٣) - ٥٠ - ٥٤ - ٧٢ - ٧٦ / الكهف : الآية رقم (٧٩) / البقرة : الآية رقم (٢٤٦) - ٢٤٧ / النمل : الآية رقم (٣٤) / المائدة : الآية رقم (٢٠) / الزخرف : الآية رقم (٧٧) / يس : الآية رقم (٧١).

(٧) سورة البقرة : الآية رقم (٢٢٤) / آل عمران : الآية رقم (١٩٨-١٩٣) / الإنسان : الآية رقم (٥) / الانفطار : الآية رقم (١٣) / المطففين : الآية رقم (١٨-٢٢) / الممتحنة : الآية رقم (٨) / الطور : الآية رقم (٢٨) / مريم : الآية رقم (١٤-٣٢) / عيسى : الآية رقم (١٥-١٦).

(٨) سورة البقرة : الآية رقم (٥) / آل عمران : الآية رقم (٨-١٠٤) / سورة الأعراف : الآية رقم (٨) / التوبة : الآية رقم (٨٨) / المؤمنون : الآية رقم (١٠٢) / النور : الآية رقم (٥١) / الروم : الآية رقم (٢٨) / لقمان : الآية رقم (٥) / المجادلة : الآية رقم (٢٢) / الحشر : الآية رقم (٩) / التغابن : الآية رقم (١٦).

ثانياً: لفظ الإثنى عشر عند أهل السنة :

إن أهل السنة والجماعة، يؤمنون بما أخبر به النبي (ﷺ) من أن الخلفاء الذين يكون في عهدهم عز للإسلام والمسلمين اثنتى عشر، فقد ورد في الحديث المتفق على صحته حديث جابر بن سمرة قال: سمعت النبي (ﷺ) يقول: "يكون اثنا عشر أميراً" فقال كلمة لم أسمعها فقال أبي: إنه قال: كلهم من قريش" (١).

وقد اختلفت الروايات في تفسير هذا الحديث على من المقصود بهؤلاء الإثنى عشر أميراً.

فالنووي في شرح المسلم يرى أن المقصود بالإثنى عشر أميراً هم خلفاء العدل. كالخلفاء الأربعة، وعمر بن عبد العزيز ولا بد من ظهور من ينتزل منزلتهم لإظهار الحق والعدل. حتى يكمل ذلك العدد (٢).

أما الحافظ ابن كثير فهو يرى في هذا الحديث إشارة بوجود اثني عشر خليفة صالحاً يقيم الحق ويعدل فيهم (٣).

على أنه لا بد من الإشارة هنا إلى إن هؤلاء [الخلفاء الإثنى عشر عند السنة] ليس المراد منهم الأئمة الإثنى عشر الذين يعتقد بهم الإمامية الإثنى عشرية، مع أنهم - أي الشيعة الإثنى عشرية - سيستشهدون كثيراً بهذا الحديث للدلالة على صدق روايتهم بوجود الأئمة الإثنى عشر كما سنري في حينه.

وفي هذا الصدد نطالع قول السيوطي: "وقد وجد من الإثنى عشر الخلفاء الأربعة والحسن ومعاوية وابن الزبير وعمر بن عبد العزيز، هؤلاء ثمانية، ويحتمل أن يضم إليهم المهدي العباسي لأنه في العباسيين كعمر بن

(١) رواية البخاري، حديث رقم ٧٢٢٢، ومسلم، صحيح مسلم، حديث رقم ١٨٢١.

(٢) النووي، شرح مسلم، ج ١٢، ص ٢٠٢.

(٣) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٦٥.

عبد العزيز في الأمويين، والطاهر العباسي أيضاً - لما أوتيته من العدل -
ويبقى الاثنان المنتظران أحدهما المهدي لأنه من أهل البيت ^(١).

وأما ابن بحر العسقلاني فيقول: "إن جميع من ولي الخلافة من أبي
بكر إلى عمر بن عبد العزيز أربعة عشر نفساً، منهم اثنان لم تصح ولايتهما،
ولم تظل مدتهما وهما معاوية بن يزيد، ومروان بن الحكم، والباقون اثنا
عشر نفساً على الولاية كما أخبر النبي" ^(٢).

وقال القاضي عياض: لعل المراد بالإثني عشر في هذه الأحاديث
وما شابهها أنهم يكونوا في مدة عزة الخلافة وقوة الإسلام واستقامة أموره
والاجتماع على من يقوم بالخلافة وهم أبو بكر، عمر، عثمان، علي، معاوية،
يزيد، عبد الملك، وأولاده الأربعة : الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، وعمر
بن عبد العزيز بن سليمان ويزيد، فهؤلاء سبعة بعد الخلفاء الراشدين، والثاني
عشر هو الوليد بن يزيد بن عبد الملك ^(٣).

ثم يقدم القاضي عياض رأياً آخر: "ويحتمل أن يكون المراد مستحق
الخلافة العادلين، وقد مضى منهم من علم، ولا بد من تمام هذا العدد قبل تمام
الساعة ثم قال : "والله أعلم بمراد نبيه" ^(٤).

أما ابن العربي في شرح سنن الترمذي، فإنه بعد أن أخذ تلك
الأحاديث على مأخذ وتفسيرات مختلفة، قال: ... ولم أعلم للحديث معنى ^(٥)،
وهذا ما وافقه فيه ابن تيمية.

(١) السيوطي، تاريخ الخلفاء، ص ١٢.

(٢) ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج ٣، ص ١٨٢.

(٣) المرجع السابق، نفس الصفحة.

(٤) القاضي عياض، شرح النووي على صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٨٢-٣٨٣.

(٥) شرح ابن العربي على سنن الترمذي، ج ٩، ص ٦٨-٦٩، أو انظر ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٨، ص ١٧٣.

ولا يفوتنا إن نذكر هنا، أنه في السيرة النبوية نجد عدة أحداث تم ربطها بالرقم ١٢ وهي: يوم ولادة الرسول (ﷺ) ويوم وفاته ويوم قدومه مهاجراً للمدينة المنورة، وكلها أحداث كانت في الثاني عشر من ربيع الثاني، وفي بيعه العقبة الثانية، اختار النبي ١٢ نقيباً يكونون على قومهم. وكان عدد المقاتلين الذين خرجوا مع النبي بعد فتح مكة اثني عشر ألفاً. وفي الحديث النبوي "لا يغلب اثنا عشر ألفاً من قلة"^(١). وأيضاً ولد إسماعيل بن إبراهيم ١٢ اثنا عشر هم آباء العرب المستعربة.

خصوصية الرقم اثني عشر عبر التاريخ:

ذكرنا أن الرقم اثنا عشر يعتبر من الأرقام الأكثر تداولاً عبر مختلف الحقب التاريخية، وهو الرقم الوحيد الذي يتميز بقدسية خاصة عند مختلف الأديان والمعتقدات والأقوام والشعوب. فالبابليون قسموا دائرة البروج إلى اثني عشر برجاً وكانوا يقرنون كل شهر ببرج. وكتبت ملحمة جلجامش بالخط المسماري على ١٢ لوحاً. وفي الميثولوجيا السومرية القديمة يتجلى الإيقاع الحزين في ملحمة جلجامش حيث مرض صديق جلجامش - انكيبدو - لمدة ١٢ اثناء عشر يوماً حتى مات...! وينسب إلى البابليين أن كبير الآلهة - مردوخ - هو الذي منح الشرف للنظام الإثني عشري فأقام أشوريو بابل عيداً لرأس السنة - اكيئو - لمدة اثنا عشر يوماً من بداية شهر نيسان .

أما في مصر، فقد لاحظ المصريون أن بداية الفيضان كانت تتكرر في المتوسط كل ٣٦٥ يوماً، ولهذا قسموا سنتهم المشتملة على ثلاثة فصول إلى سنة تتكون من ١٢ شهراً كل منها ٣٠ يوماً ، وبإلحاق ٥ أيام إضافية وهي الأيام الخمسة التي يطلق عليها النسيء^(٢).

(١) رواية الإمام أحمد في مسنده، ج ١، ص ٢٩٤.

(٢) بول فريشاور- الجنس في العالم القديم - تحقيق ... فائق لحدوح، ط ١، دار نينوى، ١٩٩٩، ص ١٠٩، وأيضاً أنظر: موسي ديب خوري، قصة الأرقام في حضارات الشرق القديم، وزارة الثقافة السورية.

وفي التقاليد الإغريقية عهد الاله اليوناني القديم - أورانوس - والربه - جي - عرش الأولمب، رزقا - ١٢ اثنا عشر - ولذا أو ماردا من الجبابرة ...! وبعد أن أصبح زيوس - الالهية الأبدي الأعظم للأغريق اصطفى له - ١٢ - اثنا عشر ربًا من خاصته تقاسموا المهام الإلهي . وبعدها وضع هرقل في خدمة عمه - بوريزوس - ١٢ أثني عشر شهرًا - ولكن - بوريزوس - أعد لهرقل - ١٢ مسألة عليه أن يؤديها، كل واحدة منها أصعب من الأخرى وقادرة أن ترسله إلى الهلاك، منها يصرع سبع الغابة المتوحش الذي روع الأنس والجان !. وفي ملحمة أوديسا فإن بطل الملحمة - أوديسيوس - يقلع من شواطئ طروادة منتصرًا مع خيرة رجاله في - ١٢ - أثنتي عشر سفينة ..! ويصف ما عانوه من غرائب وأهوال في تلك لعلها الجزر المسحورة ومنها رؤيتهم للوحش المخيف الذي يمتلك ١٢ اثنتا عشر قدمًا! وصوت عوائه المدوي في البحر، وهكذا يستمر الإيقاع الإثني عشري في الملاحم الإغريقية وكذلك الرومانية متأرجحًا بين التفاؤل والأمل والفرح والابتهاج، لكن بعضها جلبُ للألم والشؤم على الأمراء^(١). ويعتبر جبل الأولمب (Olympus Mountain) مقرًا للآلهة اليونان وعددهم ١٢ بزعامة زوس Zeus هم

٢- Dionysus ديونيزوس

١- Apollo أبولون

٤- Artemis أرتميس

٣- Demeter ديميتير

٦- Hebe هيبى

٥- Hera هيرا

٨- Hermes هرمس

٧- Ares آرس

(١) مقال للصادق الصافي، صحيفة المثقف، تصدر عن مؤسسة المثقف العربي، العدد ١٦٢٦، الأثنين، ١-٣-٢٠١١.

١٠- Poseidon بوسيدون

٩- Athena أثينا

١٢- Hestia هسيتا^(١)

١١- Aphrodite أفروديت

وقد جاء في الميثولوجيا اليونانية أن هرقل Haracles قام بأثني عشر عملاً للحصول على نعمة الخلود يطلق عليها أعمال هرقل.

أما في تفكير أفلاطون - فقد حلت الأعداد مكان الأفكار للتعبير عن شكل الكون. كما استخدم أفلاطون الأعداد في بناء مؤسساته في كتابه القوانين. وخلال العلاقات الرقمية بين المؤسسات أصبح الشكل السياسي للمدينة عبارة عن أعداد تعكس التكوين الرياضي للكون نفسه. وباختصار تتحكم الرموز الشمسية في العلاقات الرياضية للشكل السياسي، والرمز الأساسي هو العدد اثنا عشر. وكان ذلك عدد قبائل المدينة. ويعتبر كل قسم من التقسيم السكاني "شيئاً إلهياً" هبة من الإله ويتمشي ذلك مع عدد الشهور ومع ثورة الكون. والعدد اثنا عشر مفتاح كل شيء في المدينة، ويبلغ عدد ملاك الأرض في المدينة ٥٠٤٠. وقد اختير هذا العدد لأنه يقبل القسمة على ١٢ وبالتالي يسمح ذلك بتقسيم السكان على ١٢ قبيلة، وأول عدد يقبل القسمة على ١٢ هو ٢٥٢٠. ويختار أفلاطون ضعف هذا العدد ٥٠٤٠ وتالياً يصبح عدد سكان كل قبيلة ٤٢٠، وهو كذلك يقبل القسمة على ١٢. ويبلغ عدد أعضاء مجلس المدينة ٣٦٠ أي ٣٠ عضواً من كل قبيلة وقد وحد هذا العدد بضرب عدد الأشهر ١٢ في عدد أيام الشهر الشمسي وهو ثلاثون يوماً^(٢).

وفي روما يبلغ عدد آلهة الرومان اثني عشر إلهاً، وفي روما أيضاً حصل أول تشريع مكتوب عند الرومان في العام ٤٥١ ق.م وحفر على ١٢ طاولة من البرونز، فسمي قانون الأثنى عشرة طاولة. وتعتبر الإنياذة قصيدة

(١) موسوعة لاروس، ص ٢٩٩.

(٢) عبد الحميد لطفي، دراسات في علم السكان، ط٧، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨١، ص ٦٠-٦١.

ملحمة لاتينية ألفها الشاعر فرجيل Virgil وجعلها في ١٢ باباً وتتركز حول تجوال البطل إنياس وأتباعه بعد سقوط طروادة وتأسيس وطنهم الجديد في بريطانيا^(١).

وعند المانويين نجد؛ لماً أتم ماني Manes مؤسس الديانة المانوية في بلاد فارس (٢١٥-٢٧٥م) الثانية عشرة من عمره أتاه الوحي للمرة الأولى من "ملك جنان النور" أي الله رب الأرباب، وقام كائن سماوي بنقل الوحي إلى ماني وهو ملاك يسميه النص العربي القديم (التوم) وكان محتوي الرسالة لماني: اعتزل هذه الملة فلست من أهلها، وعليك بالنزاهة، وترك الشهوات، ولم يئن ولك أن تظهر لحدائث سنك. وترغم المانوية أن ماني عاد من غيابه في السماء إلى الأرض عند انتهاء الشهر الثاني عشر، جالبا البشائر من الرب. وكان للقاضي ١٢ درجة في الكنيسة المانوية، وقد اعتقد نفسه أنه رسول المسيح^(٢).

وفي الهند قسم الهنود السنة إلى ١٢ شهراً في ٦ فصول. وعرف الهنود ١٢ إلهاً في السنة يتطابقون مع الأشهر، وخلق براهما (الرب الخالق في الهند) ١٢ إلهاً مساعداً في عملية الخلق. وبحسب المها بهارتا (قصيدة ملحمة هندية تعتبر كنز المعلومات الميثولوجية) تظهر ١٢ شمساً في السماء وتجفف البحار، وتحرق الأرض، ثم تمطر السموات من دون توقف ١٢ سنة متتالية حتى تقني الإنسانية وفي نهاية القرن السابع عشر، في ساحل مالابار، وبعد ما حكم ملك كاليكوت ١٢ سنة دعا رعيته إلى احتفال استمر ١٢ يوماً^(٣).

(١) فرجيل، الانياذة، ترجمة: عنبرة سلام الخالدي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٥، ط١.

(٢) أنظر بحث كتبه القس عبد المسيح بسيط أبو الخير كاهن كنيسة السيدة العذراء الأثرية، بمسطرده عام ٢٠٠٤، الإسكندرية.

(٣) المعتقدات الدينية لدى الشعوب، إشراف جفري بارندر - تر: إمام عبد الفتاح - م: عبد الغفار مكاوي- ص١٢٧ إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ١٩٧٨.

وقد كان الرقم ١٢ رمزاً تقتصر معرفته على كهنة المعابد فقد كانوا يعتبرونه رقماً روحياً صرفاً، لا علاقة له بتطور الإنسان ككل بل بتطور الروح. فبعد أن يصل الإنسان إلى الكمال، أي إلى رمز الرقم تسعة، عليه أن يعود إلى الوحدة. لكن العودة هذه لن تتم مباشرة، بل عبر المرور بثالوث روحي - رمزه الرقم ثلاثة، لأن الرقم ثلاثة كان قاعدة انطلاقته الأولى . هذا يعني أنه يجب على الروح، بعد الوصول إلى الرقم تسعة، أن تدرك مكوناتها. وحقيقة مصدرها... وهذا ما سيحقق بعودتها إلى الثالوث، أي الثلاثة بعد التسعة. مما يجعل من المجموع اثني عشر. من هنا برزت قدسية هذا الرقم ... تلك القدسية التي لم يعرفها سوي العدد القليل من المتفوقين في علم الروح. أما من أبرك سر العبور بالثالوث بعد الكمال، فهم النذرة من المتفوقين والعارفين. ونتضح من خلال ذلك أن الرقم اثني عشر هو رقم وعي الروح. ووعي المصدر، قبل الاتحاد بهذا المصدر وبالوحدة ^(١) وكما في الهند قسّم الصينيون السنة إلى ١٢ شهراً في ستة فصول. ويضم تطور العالم ١٢ مرحلة من ١٨١٠٠ عاماً والمرحلة الحادية عشرة تنظيمية، والثانية عشر مرحلة الفراغ ^(٢).

وفي العهد القديم يذكر لنا سفر التكوين الكثير من الأمثلة الفريدة، منها أن عدد العيون التي فجرها موسي لقومه ١٢ عيناً (وهذا ما ذكر في القرآن)، وأنه أنجب من هاجر ١٢ اثني عشر ولداً وأن عدد الأسباط ١٢ اثنا عشر سبطاً (ذكرناهم سابقاً) ووصف التلمود العبراني الساعات الأولى في النهار الأول لحياة آدم في ١٢ اثنا عشر مرحلة ابتداءً من جمع التراب إلى طرد الإله لهما من الفردوس وهي كالتالي:-

(١) للمزيد أنظر: محمد غلاب، الفلسفة الرقية، ص ٢٢٥، وأنظر: إمام عبد الفتاح إمام، معجم ديانات وأساطير العالم، ص ٢٢٠، ص ١٤٥، قوملين، فلاسفة الشرق، ص ١٨٢.

(٢) أنظر: مقال في مجلة الصين اليوم، عنوان المقال التقويم الصيني، العدد ١٥، أكتوبر ٢٠٠٢.

- ١- الرب الإله يجمع التراب ٧- الرب الإله يعطيه حواء
 - ٢- التراب يتحول طينا ٨- آدم يحبها
 - ٣- الرب الإله يصنع جد آدم ٩- الرب الإله يأمرهم بعدم الوصول إلى الشجرة
 - ٤- الرب ينفخ فيه الشروح ١٠- عصيان آدم وحواء
 - ٦- آدم يسمى الكائنات الحية ١١- الرب الإله يصدر حكما ضدهما
 - ١٢- الرب الإله يطردهما من الفردوس
- ويتردد الأثنا عشر باستمرار في العهد العتيق، فهناك ١٢ بطريكا أو نبيا:-

- | | |
|-------------------|-------------------|
| ١- ملاحي Malachi | ٧- عوبديا Obadia |
| ٢- حجاجي Aggee | ٨- صفنيا Sophonia |
| ٣- زكريا Zecharia | ٩- نجوم Nahum |
| ٤- عاموس Amos | ١٠- حبقوق Habaquq |
| ٥- ميخا Michas | ١١- يوثيل Joel |
| ٦- يونا Jonas | ١٢- هوشع Hosea |

وفي نفس السفر (٣٥: ٢٢) نطالع: وكان بنو يعقوب اثني عشر من هؤلاء أقام الله عهده مع البشر ليصبحوا رؤساء قبائل إسرائيل، وعندما وصل العبرانيين أرض إسرائيل تم تقسيمها بينهم إلى اثني عشر قسماً، وقد كانت الأوامر أن يأخذ كل رئيس قبيلة حجراً من نهر الأردن ليبقي معهم ذكرى عبورهم النهر للأجيال اللاحقة في أرض الموعد. إن أولاد يعقوب كانوا ورثة الأجيال السابقة ومعهم انتشرت الرسالة اللاحقة، والرقم هذا جاء بتخطيط من الخالق لتكتمل المسيرة الإيمانية وتنقل منهم إلى الرسل أي إلى العهد الجديد كما سنرى. هذا إلى جانب أن أنبياء العهد القديم كانوا اثنا عشر نبياً، سبعة منهم في الفترة الآشورية والخمسة الآخرين في الفترة البابلية.

إن الرقم ١٢ يتضمن أسراراً عميقة في التضحية والقيادة وخطة الخلاص الموضوعة للبشر. إن الرب اختار اثني عشر تلميذاً وهم الذين أصبحوا رسلاً وقاموا بنشر الإيمان في العالم، ولهذا أصبح الرقم ١٢ يرمز إلى قادة الكنيسة الأوائل. وتؤكد بعض المصادر القديمة [عند اليهود] بأن يسوع اختار هذا الرقم من أجل تجديد العهد وتوحيد الشعب المؤمن هذا الرقم يتكرر في رؤيا مار يوحنا عندما يتحدث عن أورشليم الجديدة في السفر ٢١: ٢ حيث يقول "ولها سور /عظيم شامخ له اثنا عشر باباً وعلى الأبواب اثنا عشر ملاكاً وأسماء مكتوبة هي أسماء عشائر بني إسرائيل الإثني عشر. وبالتالي يرمز وهذا الرقم إلى النمو والتكاثر وإملاء الأرض. فشجرة الحياة تثمر اثنتي عشرة مرة، كل شهر مرة وتشفى بورقها الأمم ... والتأكيد على الرقم بأشهر السنة له مغزى عميق آخر وتأملاً من الحياة والخليقة والطبيعة وكلها مجتمعة من أجل البشر. لتأكيد هذا الحدث والربط التاريخي بين الأرقام نلاحظ أن في سفر الرؤيا ٧ هناك رقم بعدد المختومين من بني إسرائيل وهو مئة وأربعة وأربعون ألفاً من جميع عشائر بني إسرائيل، اثنا عشر ألفاً من كل عشيرة أو بهذا فإن الرقم ١٢ هو المحور في العهدين من الكتاب لأن $12 \times 12 = 144$ ^(١).

وهنا سؤال يثار: لماذا اختار يسوع اثني عشر تلميذاً ؟
حول موضوع اختيار العدد ١٢، فهناك العديد من الآراء في هذا الأمر ...
فيوجد رأي يقول إن هذا مثال لزوايا الأرض الأربع (شمال - جنوب - شرق - غرب) مضروباً في ٣ (رمز الثالوث المقدس)، أي $4 \times 3 = 12$
في العهد القديم نجد شعب إسرائيل مقسماً إلى ١٢ سبط بهم ١٢ رأس والإثني عشر تلميذاً سيصبحون نواة لإسرائيل في العهد الجديد. فقد قيل إن

(١) للمزيد: أنظر المعاني الخفية للرقم ١٢ في الكتاب المقدس، للكاتب مسعود هرمز.

السيد المسيح قال لرسله الإثني عشرة : "متى جلس ابن الإنسان على كرسي مجده، تجلسون أنتم أيضًا على اثني عشر كرسيًا، تدينون أسباط إسرائيل اثني عشر"^(١) فمن الواضح أن المسيح قد اختار تلاميذه بنفس عدد أسباط إسرائيل أو أبناء يعقوب الإثني عشر فمن الإثني عشر سبطا تكونت كنيسة العهد القديم في إطار محدود، وبالإثني عشر رسولاً تكونت كنيسة العهد الجديد. ويتساءل المسيحيون. هل دبر الله أن يكون النهار اثني عشرة ساعة والسنة اثني عشر شهرًا ، لكي يختار اثني عشر تلميذًا ؟ أم اختار ١٢ تلميذ لأن النهار ١٢ والسنة ١٢ شهرًا ؟

في الإجابة عن هذا السؤال قالوا: إن المعني الأساسي للرقم هو الإشارة إلى الثالوث القدوس، وفي عمله - من أجل خلاص البشرية في أربعة أرجاء المسكونة. وعلى هذا الأساس يأتي ترتيب باقي الأمور^(٢). أما الفلاسفة المسلمون؛ فنري أن الفارابي يقول إن رئيس المدينة الفاضلة يتصف بـ ١٢ صفة فطر عليها وهي أن يكون:-

- ١- تام الأعضاء والقوى.
- ٢- جيد الفهم والتصور بالطبع.
- ٣- جيد الحفظ، جيد الفطنة ذكياً.
- ٤- حسن العبارة
- ٥- محباً للتعلم والاستفادة سهل القبول لها.
- ٦- غير شره على المأكول والمشرب والمنكوح.
- ٧- كبير النفس محباً للكرامة.

(١) أنظر: كتاب مائة سؤال وجواب في العقيدة المسيحية الأرثوذكسية، الأنبا بيشري، سكرتير المجمع المقدس،

إعداد سامح حلمي.

(٢) أنظر: القمص انتاسيوس فهمي جورج، كتاب الرسل الأطهار الإثني عشر تلميذًا، صادر عن مكتبة الكتب المسيحية، في موقع الأنبا تكلاهيمنوت، نقلا عن إنجيل متى. اصحاح ١٠-١٩.

- ٨- تكون سائر أغراض الدنيا هيئته عنده.
 - ٩- محباً للعدل وأهله ومبغضاً للجور والظلم وأهلها.
 - ١٠- يعطي الإنصاف والعدل من نفسه ومن أهله ومن غيره ويحث عليه.
 - ١١- عدلاً معتدلاً غير صعب القيادي
 - ١٢- قوي العزيمة جوراً مقدماً غير خائف ولا ضعيف النفس^(١)
- أما إخوان الصفا فقد ذكروا بأن المدينة الروحانية الفاضلة لا يقوم أمرها إلا باثني عشر واعياً يتولون إدارتها ويتوزعون على الأقاليم الإثني عشر الموجودة في الأرض، وهي إقليم العرب والترك والبربر والفرنج والحبشة والخزر والصين وفارس والروم والهند والسند والصقالية، والتي يقابلها اثنا عشر برجاً في السماء، هي: الحمل، الثور، الجوزاء، السرطان، الأسد، السنبلة، الميزان، العقرب، القوس، الجدي، الدلو والحوث كما أن في جسم الإنسان اثني عشر منفذاً هي: العينان والأذنان، والمنخران والفم والصره.... ألخ كما وأن السنة الكونية تنقسم إلى اثني عشر شهراً، وكذا ساعات النهار وساعات العمل. والدعوة الإسماعيلية مؤلفه من اثني عشر شخصاً؛ وهم بحسب الترتيب الناطق، الأساس والإمام والحجة والباب والداعي، والمتمم واللاحق والجناح والمأذون والمكاسر والمستجيب.
- كما أن عدد أصناف المعادن الكريمة اثنا عشرة هي: الصوان والرخام والحديد والنحاس والرصاص والقصدير والفضه والذهب والعقيق والياقوت... وهكذا^(٢).

(١) الفارابي، آراء أهل المدين الفاضلة، على عبد الواحد وافي نهضة مصر، ص ٦٩، ٧٠.
 (٢) أربع رسائل إسماعيلية، تحقيق عارف تامر، دار الكشف، بيروت، ط ١، ١٩٦٣، ص ١٢-١٩.
 أنظر: أيضاً على بن محمد الوليد، رسالة جلاء العقود، تحقيق عادل العقراء، مطبعة الجامعة السورية، ١٩٥٨، ص ١١٠-١١١.

ويقولوا أيضاً : إن أول بيوت الفلك هو البيت الذي يطلع أوله من أفق المشرق والذي بعده هو الثاني ثم الثالث، ثم الرابع، ثم كذلك سائر البيوت يسمى كل بيت منها باسم العدد الذي يليه إلى الثاني عشر. وكل بيت من هذه البيوت الإثني عشر يسمى باسم مخصوص وينسب إلى أشياء موجودة فيه (١).

العدد اثني عشر عند الشيعة :

تعرف الشيعة الإمامية بالفرقة الإثني عشرية، ومبعث هذه التسمية هو اعتقادهم باثني عشر إماماً من بني هاشم نص عليهم رسول الله (ﷺ) كما هو معلوم للجميع. ثم نص كل إمام على الإمام الذي بعده. كما أن الرسول قد أخبر بأنه يملك هذه الأمة اثنا عشر خليفة كعدد نقباء بني إسرائيل. وقد قام أصحاب نظرية الإثني عشر باستيراد أحاديث من أهل السنة مروية عن رسول الله (ﷺ) تشير إلى عدد الخلفاء والأمراء من بعد ذلك، وكلها تشير إلى حصر الإمامة في اثني عشر إماماً فقط..

وهذا الحديث - ذكر سابقاً - لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش (وقد روي بطرق مختلفة) (٢).

إن هذا الحديث برواياته صريح في أن هؤلاء الإثني عشر يكونون خلفاء وأمراء على الناس. ومعلوم أن أئمة الشيعة لم يتول منهم الخلافة والإمارة سوى علي وابنه الحسن، إما البقية فمنهم من مات في السجن، ومنهم من مات أبوه وهو طفل صغير، والبقية أما مضطهد كما يقولون أو ملازم بيته يُعلم أو يتعلم. فالحديث إذا في واد والشيعة في واد آخر. يقول ابن

(١) للمزيد أنظر: رسائل إخوان الصفا، وخلان الوفا.. ج٤، ص٣٥٥-٣٥٨.
(٢) أنظر: ابن كثير، جامع الأصول، ج٤، ص٤٥-٤٦. وفتح الباري، ج١٦٩، ص٢٣٨ ومن أحمد ج١، ص٢٩٨، والبداية والنهاية، لابن كثير، ج١، ص٢٤٨.

تيمية: "ومن ظن أن هؤلاء الإثنى عشرهم الذين تعتقد الرافضة إمامتهم فهو في غاية الجهل، فإن هؤلاء ليس فيهم من كان له سيف إلا علي بن أبي طالب، وأما سائر الأئمة غير علي فلم يكن لأحد منهم سيف، لاسيما المنتظر، بل هو عند من يقول بإمامته إما خائف عاجز، وإما هارب مختف من أكثر من أربعمائه سنة. وهو لم يهد ضالا، ولا أمر بمعروف، ولا نهى عن منكر، ولا نصر مظلوما. ولا أفتي أحداً في مسألة، ولا حكم في قضيه ولا يعرف له وجود. فأبي فائدة حصلت من هذا لو كان موجوداً؟ .

وأيضاً أخبر النبي (ﷺ) أن الإسلام لا يزال عزيزاً. ولا يزال أمر هذه الأمة مستقيماً حتى يتولي اثنا عشر خليفة، فلو كان المراد بهم هؤلاء الإثنى عشر وآخرهم المنتظر وهو موجود الآن إلى أن يظهر عندهم: كان الإسلام لم يزل عزيزاً في الدولتين الأموية والعباسية، وكان عزيزاً وقد خرج الكفار بالمشرق والمغرب، وفعلوا بالمسلمين ما يطول وصفه، وكان الإسلام لا يزال عزيزاً إلى اليوم، وهذا خلاف ما دل عليه الحديث. وأيضاً فالإسلام عند الإمامية هو ما هم عليه، وهم أذل فرق الأمة، فليس في أهل الأهواء أذل من الرافضة، ولا أكتم لقوله منهم ولا أكثر استعمالاً للتقية منهم، وهم على زعمهم شيعة الإثنى عشر، وهم في غاية الذل، فأبي عز للإسلام بهؤلاء الإثنى عشر على زعمهم (١) .

ويقول الحافظ ابن كثير؛ إن هذا الحديث فيه دلالة على أنه لا بد من وجود اثني عشر خليفة عادلاً، وليسوا هم بأئمة الشيعة الإثنى عشر. فإن كثيراً من أولئك لم يكن إليهم من الأمر بشيء، فأما هؤلاء فإنهم يكونون من قريش، يلون فيعدلون (٢) ثم إن اللفظ الوارد في الحديث، اثنا عشر خليفة،

(١) ابن تيمية، منهاج السنة النبوية، ج ٨، ص ١٧٣-١٧٤.

(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٦، ص ٧٨.

وفي رواية أخرى أميرًا، وليس اثنا عشر إمامًا، وهناك فرق بين الأمرين، فالإمامة عندهم - الشيعة - أمر زائد على الخلافة والحكم فالإمامة تقتضي عندهم وجوب الطاعة وعصمة الأقوال والأفعال والنيابة عن الله في التصرف بهذا الكون وعلم الغيب. ونحو ذلك... وأما الحديث فغاية ما فيه أنه سيأتي اثنا عشر خليفة، وفي روايه اميرا ، ليدل على وقوع الإمارة في إثني عشر رجلاً من قریش.

ويذهب الشيعة في إثبات أن الأئمة اثني عشر إلى حد الربط بين عدد أحرف بعض الآيات (والتي يعتقدون أنها نازلة في حق الإمام علي) وبين عدد أحرف اسم علي بن أبي طالب وسنذكر بعضاً من هذه الآيات على سبيل المثال لا الحصر وذلك لكثرتها. فعلي بن ابن طالب = ١٢ وهو مجموع عدد الآمة .

- "فأعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين..." (١).
- فكلمة لا إله إلا الله = ١٢ حرفاً وهي إشارة إلى عدد الأئمة.
- محمد رسول الله والذين معه (٢).
- محمد رسول الله = ١٢ حرفاً.
- وأيضاً عندهم عبارة على خليفة محمد = ١٢ حرفاً وهي إشارة أخرى على أن عدد الأئمة ١٢.

وقوله تعالى ﴿حَمْدٌ * وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ﴾ (٣)

ف : حم : هو النبي محمد في زعمهم - والكتاب المبين هو الإمام علي وعدد أحرف الكتاب المبين = ١٢ وعلى بن ابي طالب = ١٢ وعدد الأئمة ١٢ إمام (٤).

(١) سورة الصافات، جزء من الآية رقم (٣٥).

(٢) سورة محمد، جزء من الآية رقم (١٩).

(٣) سورة الدخان، الآية رقم (٢٠١).

(٤) انظر: الكافي، ج ١، ص ٤٧٩.

- يتلوه شاهد منه^(١) = ١٢
- على بينة من ربه
- الأذن الواعية^(٢)
- صالح المؤمنين^(٣)
- العروة الوثقى^(٤) فالعروة الوثقى هو الإمام علي بن أبي طالب والأئمة المعصومون من بعده.
- هنالك الولاية^(٥) وهذه الآية داله على أن صاحب الولاية الحق هو علي والدليل أن عدد أحرفها يماثل عدد أحرف اسم علي بن ابي طالب وفي هذا دلالة على عدد الأئمة الإثنى عشر.
- ﴿ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾^(٦) يؤتون الزكاة = ١٢ حرفا
- وهناك الكثير من الآيات التي قال عنها الشيعة إنها تخص عليا، ولإصرارهم اختاروا الكلمات في الآيات التي عددها ١٢ حرفاً؛ وذلك محاولة منهم لإقناع الغير بأن الأئمة ١٢ إماماً أولهم علي بن ابي طالب^(٧).
- وهناك عبارات أخرى ذكرها الشيعة وقاموا بالربط بين عدد حروفها الإثنى عشر، وعدد الأئمة ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر لا إله إلا الله - محمد رسول الله - علي خليفة الله - النبي المصطفى - الصادق الأمين - أئمة أهل البيت - أمير المؤمنين - فاطمة الزهراء - الحسن والحسين - الإمام الخامس - الإمام السادس، الإمام الجواد - الإمام

(١) سورة هود، الآية رقم (١٧).

(٢) سورة الحاقة، الآية رقم (١٢).

(٣) سورة التحريم، الآية رقم (٤).

(٤) سورة البقرة، الآية رقم (٢٥٦).

(٥) سورة الكهف، الآية رقم (٤٤).

(٦) سورة المائدة، الآية رقم (٥٥).

(٧) للمزيد يمكن الإطلاع على كتاب - رضوان سعيد الفقيه، الكشف في الإعجاز القرآني وعلم الحروف، ص ٢٢٤-١٥٦.

الكاظم - الإمام الرضا - الإمام الهادي - إمام المسلمين - هؤلاء الأطهار سادته أهل الجنة - محبيهم مؤمن تقي - عدوهم كافر شقي - إلى غير ذلك من العبارات التي اختارها الشيعة لتؤكد صدق زعمهم بأن الأئمة ١٢ أولهم علي بن ابي طالب. ولكن ما السبب الذي جعل الشيعة يتمسكون بهذا الرقم إلى هذه الدرجة ويقدمونه، ولماذا اختاروا هذا الرقم بالذات ؟ لماذا لم يقولوا بثلاثة عشر إمامًا. (مع أن هناك من الشيعة من ذكر بثلاثة عشر إمامًا وليس اثني عشر كما سنبين لاحقًا) أو أكثر؟

في اعتقادي أن جذور هذه الفكرة تقود إلى اليهودية، وبما أن مؤسس الشيعة الأول في نظري هو عبد الله بن سبأ (اليهودي الأصل) وهو من الذين قالوا بأن عليًا حي لم يموت وهو وصي الله. أو هو الذي أدخل فكرة الوصية عند الشيعة وهو من أراد أن يدخل جميع تعاليم اليهود للشيعة. فاليهود عندهم ١٢ سبطًا واثني عشر نقيبًا كما وضحنًا سابقًا - ومن ثم فإنهم يتبعون الأصول اليهودية في معتقداتهم - والله أعلم هل هم مدركون لذلك أم لا (١) وإذا سألنا الشيعة الأمامية عن السبب في انحصار الأئمة في اثني عشر، يقولون لك إن هذا أمر من عند الله ومنزل في قرآنه وأخبرنا به نبيه محمد (ﷺ).

ولكن إذا سلمنا بما ذهب إليه الشيعة الإثني عشرية من القول بالنص على الأئمة، وسلمنا بعددهم المحصور في اثني عشر إمامًا وأن النص قد عينهم بأسمائهم منذ زمن النبي (ﷺ)، وأن كل إمام كان يعرف سلسلة الأئمة بعده إلى الإمام الثاني عشر وأن الإمامة بعد الحسين تكون في ذريته فقط دون ذرية الحسن.

(١) للمزيد أنظر: سعدي الهاشمي، ابن سبأ حقيقة لا خيال، ط١، نشر مكتبة الدار المدينة المنورة. أنظر: د/ ناصر الغفاري، أصول مذهب الشيعة، ط١، ١٩٩١م.

فإن السؤال هو لماذا نجد في بعض الروايات الشيعية بأن الأئمة ثلاثة عشر؟ إن من المعروف أن العقيدة التي استقر عليها الشيعة الإثنى عشرية أن عدد الأئمة اثنا عشر إماماً. بل هذا سبب تسميتهم بهذا الاسم. وإذا كان الأمر كذلك فمن المفروض أن لا ترد رواية واحدة في أي كتاب من كتب الحديث المعتمدة عندهم تفيد أن الأئمة ثلاثة عشر، ولكن هذا ما حدث، حيث ورد في كتاب سليم بن قيس رواية تدل على أن الأئمة ثلاثة عشر وورد في الكافي خمس روايات تشير إلى أن الأئمة ثلاثة عشر.

وقد استدل نقاد المذهب الشيعي بهذه الروايات الواردة في الكافي وغيره على أن الكليني ورواته كانوا يجهلون عدد الأئمة، أو على الأقل لا يفرقون بين العديدين، حيث يذكر لنا أحد نقاد المذهب الشيعي، أن الكليني ورواته كانوا جهله بحيث أنهم لم يميزوا بين رقم ١٢ و ١٣ فهل يمكن استناداً إلى روايات كهذه ورواة كهؤلاء إثبات مذهب لا وجود له في القرآن؟ وهل يمكن جعل هذه الأحاديث حجة^(١)؟

أما أحمد الكاتب فقد ذهب إلى أن تحديد الأئمة بعدد معين لم يتم إلا بعد القول بوجود الإمام الثاني عشر - محمد بن الحسن العسكري - وغيبته، ولكن حدث اختلاف في تحديد العدد واستدل على ذلك برواية سليم بن قيس، والروايات المذكورة في الكافي. يقول الكاتب: "وعندما نشأت فكرة تحديد عدد الأئمة، بعد القول بوجود محمد بن الحسن العسكري وغيبته، كاد الشيعة الإمامية يختلفون فيما بينهم حول تحديد عددهم بأثني عشر أو ثلاثة عشر، إذ برزت في ذلك الوقت روايات تقول بأن عدد الأئمة ثلاثة عشر وقد نقلها الكليني في الكافي ووجدت أيضاً في الكتاب الذي ظهر في تلك الفترة ونسب

(١) انظر: أبو الفضل البرقي، كسر الضم، نقص أصول الكافي، تر: عبد الرحيم ملا زادة البلوش، راجعه وقدم له وعلق عليه: عمر محمود أبو عمر، ط٢، دار البيارق، الأردن، ٢٠٠١. ص ٢٢٧-٢٢٨ (الكتاب من النت وهو مخالف في ترقيم الصفحات للمطبوع).

إلى سليم بن قيس الهلالي، حيث تقول إحدى الرويات إن النبي قال لأمر المؤمنين أنت وإثنا عشر من ولدك أئمة الحق^(١).

وعلى ذلك فنحن امام رواية فمن كتاب سليم بن قيس وخمس روايات في الكافي تفيد أن الأئمة ثلاثة عشر. وقد نتج عن هذه الروايات أن قال بعض الشيعة، في ذلك الوقت بأن الأئمة ثلاثة عشر.

أما عن رواية سليم بن قيس، فقد جاء في رواية طويلة ذكرها سليم: "ألا وإن الله نظر إلى الأرض نظرة فاختار منهم رجلين: أحدهما أنا فبعثني رسولاً نبياً والآخر علي بن أبي طالب وأوحى إليه أن اتخذ أخاً وخليلاً ووزيراً ووصياً وخليفة، ألا وإنه ولي كل مؤمن بعدي من والاه ولاه الله، ومن عاداه عاداه الله، لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا كافر، وهو زر الأرض بعدي وسكنها... ألا وإن الله نظر نظرة ثانية فاختار بعدنا اثني عشر، وصياً من أهل بيتي فجعلهم خيار امتي واحداً بعد واحد، مثل النجوم في السماء كلما غاب نجم طلع نجم"^(٢) فالرواية تدل على أن الأئمة اثني عشر إماماً غير علي، وبإضافة علي يكون الأئمة ثلاثة عشر. وقد كانت هذه الرواية سبباً في طعن بعض علماء الإثني عشرية في كتاب سليم بن قيس، فقد قال فيه المقيّد "هذا الكتاب غير موثوق به، ولا يجوز العمل على أكثره، وقد حصل فيه تخليط وتدليس فينبغي للمتدين أن يتجنب العمل بكل ما فيه، ولا يعول على جملته والتقليد لرواته وليفرغ إلى العلماء فيما تضمنه من الأحاديث"^(٣).

أما ابن الغضائري (من القرن الحادي عشر) فلا يكتفي بالحكم على الكتاب بالتخليط والتدليس، بل يجعل هذه الرواية سبباً في الحكم على الكتاب

(١) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، ص ١٩٨-١٩٩.

(٢) سليم بن قيس، كتاب سليم، ص ٣٨٠-٣٨١.

(٣) الشيخ المفيد، تصحيح اعتقادات الإمامية، تقديم الشهرستاني، ص ١٤٩.

كله بالوضع حيث يقول: "والكتاب موضوع لا مزية فيه، وعلى ذلك علامات فيه تدل على ما ذكرناه منها : ما ذكر محمد بن أبي بكر وعظ أباه عند موته ومنها أن الأئمة ثلاثة عشر وغير ذلك (١).

لكن هذا الرأي ليس عاماً لدى علماء الشيعة الإثني عشرية، فقد قال عنه النعماني في كتاب "الغيبة"، إن كتاب سليم بن قيس الهلالي أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم جملة حديث أهل البيت، وأقدمها وأن جميع ما اشتمل عليه هذا الأصل إنما هو عن رسول الله (ﷺ) (٢).

والمجلسي يقول : "قول : فاختر بعدنا اثني عشر" لعله بعدي فصنف أو كان أحد عشر" (٣) ووافق محقق الكتاب رأي المجلسي هذا، إذ يقول إن التصحيف إما في بعدنا وإنه في الأصل بعدي أو في اثني عشر وإنه كان في الأصل أحد عشر (٤).

وفي هذا الرد من المجلسي والانصاري تكلف لا يخفى؛ فإذا سلمنا بوقوع التصحيف في كتاب سليم فلماذا لم يقع التصحيف إلا في هذه الرواية فقط؟ ولو سلمنا أن قوله فاختر بعدنا كان في الأصل "فاختر بعدي" لما استقام هذا مع ما ذكر في الرواية قبل ذلك "فاختر منهم رجلين، لأنه يفيد أن علياً تم اختياره مع رسول الله في النظرة الأولى إلى أهل الأرض. فكيف يختاره مرة ثانية في النظرة الثانية؟ هذا لا يستقيم. ثم إن قول المجلسي "بعدنا" أي بعد الأنبياء، نقول إنه لا ذكر للأنبياء، في الرواية حيث نجد الحديث من أول الرواية عن نور آل محمد (ﷺ) الذي خلق قبل آدم بألفي عام وكان هذا النور إذا سبج سبحت الملائكة ... ثم عندما خلق آدم وضع ذلك

(١) الغضائري، رجال ابن الغضائري، ص ٦٣-٦٤، ط ١، دار الحديث، رقم ١٤٢٢هـ.

(٢) السيد أبو القاسم الخوسني، معجم رجال الحديث (ترجمة سليم بن قيس)، ج ٩، ص ٢٢٦-٢٣٨.

(٣) المجلس، بحار الأنوار، ج ٢٢، ص ١٥٠.

(٤) محمد باقر الانصاري، كتاب سليم بن قيس، ص ٣٨١.

النور في صلبه، إلى أن خرج النور إلى الوجود، فكيف يعود الضمير على الأنبياء ولا ذكر لهم في الرواية، أما قوله "بضم أمير المؤمنين" فكيف يضم إليهم وهو مذكور قبل ذلك مع النبي (ﷺ)!!

أما الروايات المذكورة في الكافي فمنها : ما رواه الكليني عن أبي جعفر "قال رسول الله (ﷺ) إني وإثني عشر من ولدي وأنت يا علي زر الأرض - يعني أوتادها وجبالها - بنا أو قد الله الأرض أن تسيخ بأهلها؛ فإذا ذهب الاثنا عشر من ولدي ساخت الأرض بأهلها ولم ينظروا" (١).

وقوله (ﷺ) "إني وإثني عشر من ولدي وأنت يا علي.. يدل على أن الأئمة ثلاثة عشر بعلي، ومما يؤكد هذا المعنى قوله بعد ذلك "من ولدي" لأن عليًا ليس من أولاد النبي (ﷺ).

وأيضًا هناك رواية أخرى للكافي :- يقول فيها : عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: دخلت على فاطمة وبين يديها لوح فيه أسماء الأوصياء من ولدها، فعددت اثني عشر آخرهم القائم، ثلاثة منهم محمد وثلاثة منهم علي" (٢).

وفي رواية أخرى عن "أبي جعفر عليه السلام قال: "قال رسول الله (ﷺ) من ولدي اثنا عشر نقيبًا، نخباء محدثون؛ مفهمون آخرهم القائم" (٣) وهي مثل الرواية السابقة فقوله من ولدي : يدل على أن عليًا غير داخل فيهم.

لكن علماء الشيعة الإثني عشرية لن يسلموا بمدلول الروايتين، فالقول بوقوع الخطأ من النسخ أهون من التسليم بظاهر مثل هذه الروايات فقد ذهب

(١) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٣٥٤، كتاب الحجة، باب ما جاء في الإثني عشر النص عليهم حديث رقم ١٧.
(٢) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٣٢. وأيضًا رواه الصوف في كتاب الخصال، ص ٤٧٧-٤٧٨ والشيخ ناصر مكارم، ج ١، ص ٥٠١ - ٥٠٢ في كتاب القواعد الفقهية والصدوق، في كمال الدين وإتمام النعمة ص ٢٦٩، والحر العاملي، وسائل الشيعة، ج ١٦، ص ٢٤٤.
(٣) الكليني، الكافي، ج ١، ص ٥٣٤، وهناك روايات أخرى ذكرها الكليني في هذا السياق تشير إلى أن عدد الأئمة ١٣ وليس ١٢ حديق رقم ٨-٩-١٤.

مرتضي العسكري إلى أن الرواية الأولى كانت في الأصل "أنت وأحد عشر من ولدي ولكنها حرفت إلى اثني عشر" (١).

وإذا كانت هذه الروايات في الأصل تفيد أن الأئمة اثنا عشر فلماذا قال بعض الشيعة بأن الأئمة ثلاثة عشر، واحتجوا بهذه الروايات؟ لقد ذكر أحمد الكاتب أن هبة الله بن أحمد الكاتب (حفيد أبي جعفر محمد بن عثمان العمري أحد السفراء الأربع) كان يقول بأن الأئمة ثلاثة عشر وقد قال النجاشي عن هبة الله "سمع حديث كثيرًا وكان يتعاطى الكلام ويحضر مجلس أبي الحسين بن الشبيه* العلوي الزيدي المذهب فعمل له كتابا وذكر أن الأئمة ثلاثة عشر مع زيد بن علي بن الحسين واحتج بحديث في كتاب سليم بن قيس الهلالي، أن الأئمة اثنا عشر من ولد أمير المؤمنين" (٢) وقد عاش هبة الله بن أحمد الكاتب في القرن الرابع الهجري، لأن النجاشي قال عنه بعد ذلك "وكان هذا الرجل كثير الزيارات وآخر زيارة حضرها معنا يوم الغدير سنة أربع مائة بمشهد أمير المؤمنين عليه السلام" (٣).

إن لهذه الروايات وما دار حولها من ردود ومناقشات أكثر من دلالة:-

١- إن تحديد الأئمة بعدد معين، وإدراج ذلك ضمن المعتقد لم يكن في زمن هبة الله بهذه الصورة الحالية التي قررها علماء المذهب.

٢- إن قول البعض بأن الأئمة ثلاثة عشر لا يتناسب مع إدعاء الأئمة عشرية أن النص على الأئمة الإثني عشر بأسمائهم كان معروفاً منذ زمن النبي (ﷺ) إذ لو كان لما وجد في ما يخالفه وبخاصة في كتب الإثني عشرية وفي صفوفهم، ودعوى وقوع التحريف أو التصحيف

(١) العسكري، معالم المدرسين، ج٣، ص٢٦٤-٢٦٥.
* بيت الشبيه: بيت معروف من العلويين، سمووا بذلك لأن جدهم كان يشبه النبي (ﷺ) بصورته، انظر:

الاردبيلي، جامع الرواة، ج٢، ص٣١١.

(٢) النجاشي، رجال النجاشي، ص٤٤٠.

(٣) السابق، نفس الصفحة.

من النسخ لا يدفع ذلك، فالنسخة التي رجعت إليها في كتاب سليم وفي الكافي مازالت الروايات فيها كما هي .. على أن التسليم بوقوع التحريف يجعلنا نتساءل وهل وقع التحريف في هذه الروايات فقط؟ إن وقوع التحريف أمر وارد، فليست هذه الكتب في منزلة القرآن الكريم حتى نقول باستحالة وقوع التحريف فيها، ولكن لماذا هذه الروايات على وجه الخصوص التي أصابها التحريف؟.

ويبدو أن قول هبة الله بأن الأئمة الثلاثة عشر كان سبباً للقدح فيه، بل وإخراجه من دائرة الإمامية، حيث يقول التستري (ت ١٤١٦هـ) "الظاهر أن الرجل إمامي غير ورع أراد استمالة جانب ابن أبي الشيبه الزيدي بدرج زيد في الأئمة" لا لأنه زيدي، وكيف يكون زيدياً، والزيدي لا يرى إمامة السجاد ومن بعده^(١).

وهناك من رأي بأن هبة الله قال ما قال طمعاً في دنيا أبي شيبه حيث يقول: اتضح من البحث أن أحداً من الشيعة لم يقل بأن الأئمة الثلاثة عشر إلا هبة الله حفيد العمري، وكان ذلك طمعاً في دنيا ابن أبي الشيبه الزيدي^(٢).

٣- إن الطعن في هبة الله ما جاء إلا بسبب قوله بأنه الأئمة الثلاثة عشر، ولو لم يقل بهذا لما وجه إليه هذا النقد، ثم لا ندري على أي أساس بنى البعض * حكمه بأن هبة الله كان طامعاً في دنيا ابن أبي الشيبه.

٤- كذلك الدعوة بأن البحث انتهى إلى أن أحداً من الشيعة لم يقل بأن الأئمة الثلاثة عشر إلا هبة الله، قد جانبه الصواب في هذه الدعوى: فأقل ما يقال في بحثه هذا إنه غير دقيق، ويدفع هذا القول ما قاله

(١) التستري، قاموس الرجال، ج ١٥، ص ٤٩٩، ط ١، مؤسسة النشر الإسلامي، رقم ١٤٢٢م.

(٢) سامي البدري، شبهات وردود، ج ١، ط ٢، مطبعة باقر، رقم ١٤١٧هـ، ص ٦٩.

* سامي البدري، في كتابه شبهات وردود، ج ١، ص ٦٩.

التستري عن علي بن فضال "كان فطحياً معتقداً أن الأئمة ثلاثة عشر بإدخال عبد الله الأفطح بينهم^(١) فكلام التستري يدل بلا خفاء على قول علي بن فضال بأن الأئمة ثلاثة عشر، فبين علي بن فضال وهبة الله الكاتب قاسم مشترك وهو قولهما معاً إن الأئمة ثلاثة عشر، رغم أنهما لم يتعاصرا، والإمام الثالث عشر عند ابن فضال هو عبد الله الأفطح بن جعفر الصادق، أما عند هبة الله فهو زيد بن علي. بقي لنا أن نحاول أن نفهم لماذا انحصرت الإمامة في اثني عشر إماماً؟ يثير أحمد الكاتب هذا التساؤل، وهو وإن كان قد ذكره في معرض حديثه عن النظرية الإمامية قبل الإمام الثاني عشر إلا أن التساؤل باق، لأنه يمثل إشكالية مع مكانة الإمامة والإمام عند الإثنى عشرية، فلماذا كان النص على اثني عشر إماماً بالتحديد؟ .

يقول الكاتب: "ما دام في الأرض مسلمون ويحتاجون إلى دولة وإمام، وكان محرماً عليهم اللجوء إلى الشورى والانتخاب، كما تقول النظرية الإمامية، كان لابد أن يعين الله لهم إماماً معصوماً منصوباً عليه، فلماذا إذن حصر عدد الأئمة في اثني عشر واحد فقط^(٢) .

فلو كان الإمام بهذه المنزلة، وكان منصوباً عليه فلا يحق للمسلمين أن يقيموا إماماً سواه. ولكنه من وجه آخر، إذا كان كذلك فلماذا حصر عدد الأئمة في اثني عشر إماماً؟ هل لأن الناس بعد الإمام الثاني عشر لا يحتاجون إلى إمام منصوب عليه أو لتعذر وجود إمام؟ وإذا أمكن المسلمين أن يستغنوا عن الإمام الموصوف بهذه الصفات فلماذا كان هؤلاء الأئمة الاثنا عشر؟ .

(١) التستري - قاموس الرجال، ج ١٢، ص ٤٧٨.
(٢) أحمد الكاتب، تطور الفكر السياسي الشيعي، ص ١٦٩.

لقد حاول البعض أن يرد على هذه الإشكالية بالتفرقة بين إمامة الإثنا عشر وإمامة من سواهم حيث قال: "إن الإمامة التي حصرت باثني عشر من أهل البيت عليهم السلام ليست هي إمامة الحكم فحسب، بل هي الإمامة الدينية التي كانت لرسول الله (ﷺ) خاصة بوصفه حجة الله تعالى بقوله وفعله وتقريره، وكون حق الحكم خاصاً في زمانه ولا يجوز لغيره أن يمارسه إلا بإذنه وكذلك الأمر في أوصيائه الإثني عشر فهم حجج الله تعالى على خلقه بعد نبيه الأكرم بقولهم وفعلهم وتقريرهم. وكون حق الحكم خاصاً بهم في زمانهم لا يجوز لغيرهم أن يمارسه إلا بإذنهم^(١).

ويقول أيضاً مؤكداً هذا المعنى إن إمامة أهل البيت ليست بمعنى الحكم، بل بالمعنى الذي يجعل منزلتهم بمنزلة الأنبياء أي كونهم حججاً إلهيين تجب طاعتهم سواء بايعهم الناس على الحكم أو لم يبايعوهم لا فرق بينهم وبين النبي (ﷺ) إلا في النبوة والازواج^(٢) وقد ظن أنه بهذا الرد دفع الإشكال، والحق أنه لم يدفعه لقد بين ماهية إمامة الأئمة - حسب ما يعتقده - في حين أن الإشكال في علة الحصر والنص على هذا العدد باق فإذا سلمنا بكل ما قيل في ماهية إمامة الأئمة وبيان منزلتهم - وهو غير مسلم به - لظل الإشكال كما هو ولماذا تم حصر هؤلاء الحجج في اثني عشر؟ هل ستبلغ البشرية بعد ذلك رشدًا فلا تحتاج إلى حجة من الله؟ ولماذا لم يكونوا أقل من هذا العدد؟ فإما أن نقول أن الإمامة بالنص وأن كل إمام ينص على من يليه في الإمامة وأنها باقية إلى يوم القيامة لأن هؤلاء حجج الله على العباد وإما أن نقول إن الإمامة ليست بالنص، بل أمر تعيين الإمام موكول

(١) البيري، شبهات وردود، ج ٢، ص ١٦-١٧.

(٢) السابق، ج ٢، ص ١٨.

إلى الأمة وأن الأئمة ليسوا حججاً إلهية على العباد فليس بعد الرسل حجة إلهية.

أما بعد...

فإننا لا نستطيع، على ضوء ما سبق، أن نحسم إشكالية الرقم ١٢ وربطه بعدد الأئمة .. إن كل سبب مما ذكرناه يعد جزء علة لكنه لا يعد في نهاية المطاف "علة كافية" لإقناعنا بالرقم ١٢ وربطه بعدد الأئمة عند الشيعة الإثني عشرية.